المحاضرة الثانية:أثر التحولات السياسية والاجتماعية في الرواية المغاربية

مرت الرواية المغاربية بمراحل هامة كان للأحداث السياسية والاجتماعية أثر كبير في تشكيلها من حيث الشكل والمضمون وسنحاول الوقوف عند تلك التحولات المفصلية في تاريخ الرواية المغاربية:

1- أثر التحولات السياسية في الرواية الجزائرية::

ظهرت قبل استقلال الجزائر تشكيلات حزبية عديدة يتصدرها نجم شمال إفريقيا عام 1926ثم جمعية العملاء المسممين الجزائريين1931،التي كانت لها نزعة إصلاحية وعرفت باتجاهها التقليدي الذي أعاق نمو الحركة الأدبية،وكان لكل تيار سياسي شكل روائي يمثله في المحافظة على خصوصية الشعب الجزائري والمطالبة بحقوقه.

يرى واسيني الأعرج أن هناك ثلاث فترات كان لها أثر في تشكل الرواية الجزائري وهي:

أ –ثورة الفلاحين. 1871

ب –انتفاضة عام 1945 وفيها ظهرت أول رواية عربية جزائرية "غادة أم القرى"لأحمد رضا حوحو1947 .

ج –تحولات الحركة الوطنية في نهج جديد وظهرت فيها رواية المنكوب لعبد الشافعي 1951 وغيرها.

نجد أنه في كل مرحلة تاريخية ظهر فيها نوع روائي متأثر بتلك المرحلة و لا ننسى أن بدايات الرواية الجزائرية كانت باللغة الفرنسية بتشجيع من الاحتلال الفرنسي.

يرى واسيني الأعرج بأن الرواية الجزائرية هي نتاج الثورة الوطنية وإرهاصاتها ويمكن الحديث عن نتاج الثورة على الرواية من الناحيتين الإيجابية والسلبية على حد سواء:

1–التأثير الإيجابي:شمل التأثير الايجابي للثورة الجوانب الشكلية و المضمونية كما يلي:

جانب الشكل الفني:استعمل الأدباء الجزائريون أشكالًا قصصية عديدة:ومن أشكال القصة التي هي عبارة عن رواية مضغوطة، والقصة في شكل رسالة، والقصة الأسطورية الرمزية

علاوة على القصة الذاتية والقصة السردية العادية، وعن الأسلوب المباشر في السرد، واهتم الكتاب ببناء الشخصية،وحاولوا التجديد في أشكال التعبير.

جانب المضمون:شكلت الثورة القاسم المشترك بين الروايات،ووحدت انتماءات الأدباء نحو الجوانب الوطنية وقربت مواقفهم الإيديولوجية والسياسية نحو الكثير من القضايا السياسية الهامة كالمناداة بالحرية والاستقلال.

2-التأثير السلبي:إن اهتمام القاص الجزائري بتصوير المعارك كان بدافع وطني يمليه إحساسه بالواجب،والالتزام بتصوير كفاح الشعب أدى لبروز بعض الكتابات الضعيفة ووقوعها في السطحية والمباشرة وتكرير المواضيع وتشابه الشخوص والمواقف،وغرق الأدباء في التفسير والشرح،ورجع ذلك لالتزام الأدباء بالتعبير عن الثورة الجزائرية.

ومن أبرز كتاب جيل الثورة:عبد الحميد بن هدوقة،محمد صالح الصديق،الحبيب بناسي،عبد الله الركيبي،عثمان سعدي...

كان لفترة السبعينات آثار واضحة على الكتابة القصصية،التي ارتقت نسبيا وفي هذا المسار يعد الأديب مرزاق بقطاش بمثابة حلقة وصل ما بين الموجة السابقة وموجة السبعينيات في روايتيه طيور في الظهيرة 1981والبزاة 1983، وظهر التوجه اليساري كنعمة ونقمة على الرواية الجزائرية في ظل الاختلافات والتباينات الفكرية والسياسية والعقدية،فسلك الكتاب في البداية الواقعية ثم الواقعية النقدية وبعدها الواقعية الاشتراكية التي تجسدت في أعمال الشهداء يعودون هذا الأسبوع للطاهر وطار وذكريات وجراح الحرية لعبد الحميد بن هدوقة .

وتعد سنوات السبعينيات العصر الذهبي للرواية الجزائرية ذات التوجه الواقعي فظهرت فيها الأعمال السردية للطاهر وطار(ممثل الواقعية الاشتراكية) وكانت الرواية الجزائرية من أكثر

الفنون استجابة للتحولات السياسية وتجسد ذلك في أعمال واسيني الأعرج وأحلام مستغانمي ومرزاق بقطاش والحبيب السائح ومحمد مفلاح...

ثانيا:أثر التحولات السياسية والاجتماعية في الرواية التونسية

إن قوة ضغط القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية في السبعينيات أفرزت جملة من الكتاب،الذين آمنوا بوجوب التغيير،وفي هذا الإطار ظهرت مجموعة محمود بلعيد أضواء على المدينة 1977 ومجموعة محمود طرشونة نوافذ،ومجموعة محمد مختار العبيدي ضحك بلا حد 1979 واستفحال القيم النفعية أشعر المثقف التونسي بأن أفكاره وأحاسيسه و إنتاجه أمور هامشية،وأن حرية تعبيره وتفكيره ليست لها أهمية في المبادرة الاقتصادية والإنتاج الصناعي والزراعي،وأبرز من مال لهذه النزعة أقاصيص الطاهر قيقة و حسن نص فالأول أصدر مجموعة قصصية بعنوان نسور وضفادع 1973 ، وأما الثاني فأصدر قصص ليالي المطر1967 وقد اختار الأديب التونسي عبد القادر بمحاج نصر أن يسير في درب البشير خريف في استعمال الدارجة في الحوار في مجموعتيه القصصية" :صلعاء يا حبيبتي 1970و البرد في 1978.

كانت مواضيع السرد التونسي في السبعينيات ذات طابع اجتماعي دعت إلى التحرر والعدالة الاجتماعية،وحرص كتابيا على تنوع المضامين مع جودة أساليبهم الأدبية،وكانت الأشكال القصصية متماشية مع فترة السبعينيات،ولم تشيد سنوات الثمانينيات تعمقًا لنزعة التحرر بل امتدادًا ليا فحسب،فكانت مجموعات جلول عزونة ويبقى السؤال 1981 وبوراوي عجينة ممنوع التصوير 1982 وجوه في المدينة 1985 وكانت الأوضاع الاجتماعية وراء ظهور فنون سردية متطورة في الأدب التونسي،وكانت الرواية التونسية مرآة عاكسة لأوضاع المجتمع التونسي عكست نضج وعي الأديب التونسي في الثمانينات،وتمثل ذلك في تطرقوه لمواضيع جديدة.

ثالثا:أثر التحولات السياسية والاجتماعية في الرواية المغربية

تأثرت الرواية بالتحولات الاجتماعية والسياسية التي عاشها المجتمع المغربي مما ساعد على تطورها ونضجها وأن الرواية العربية في الأدب المغربي لم تنبت خارج الصراع الاجتماعي،الذي عرفته مرحلة ما بعد الاستقلال في ظل مجموعة متغيرات واكبت تلك المرحلة،والظروف الاجتماعية التي أفرزتها،والأحداث التاريخية التي هدتها،ومن الأدباء الذين تأثروا بتلك الظروف:محمد شكري في روايتيه السوق الداخلي و رواية زمن الأخطاء،الخبز الحافي التي تعرضت للمنع والسحب من سوق النشر وذلك لجرأتها المبكرة على فضح تجربة القمع والاعتقال في المغرب من ناحية وتعرية الواقع وكشف عيوبه من ناحية أخرى خاصة وان النص ينطلق من المعاناة المباشرة ومن التجربة الذاتية للكاتب ويقارب المسكوت عنه و المهمش بجرأة نادرة وكفاءة عالية.

لقد واكب فن الرواية التغيرات التي عرفها المجتمع المغربي فالبرجوازية التي قادت معركة الاستقلال،واستطاعت المساهمة في إثراء الحركة الأدبية،وبداية المتغيرات التي شهدها الوطن في تلك الفترة وهاجس مواكبة النهضة الأوروبية في شتى مجالاتها،حيث أصبح التوفيق بين الجديد والتراث مشكلة حضارية كبرى لدى الأدباء.

وصدرت خلال التسعينات عدة نصوص تدشن لحظة تحولية أخرى في مسار الرواية المغربية وقد تبلورت في هذا السياق نداءات من مثل نداء النزوة وخرق المقدس ومقاومة الدونية كما هو الحال مع رواية كان وأخواتها لعبد القادر الشاوي ولعبة النسيان لمحمد برادة.

رابعا:أثر التحولات السياسية والاجتماعية في الرواية الموريتانية

كان ميلاد الرواية بموريتانيا إرهاصًا وثمرة تحول ثقافي ومجتمعي عميق اجتازته موريتانيا منذ نهاية السبعينيات تقريبًا،ومن عوامل هذا التحول الأسباب السياسية،واحتدام الصراعات وطنيًا وإقليميا،بل وغذت الصراعات الإيديولوجية، وخلقت جوًا من التنافس الفكري والأدبي مما أدى إلى الانتعاش في الحياة الثقافية تأليفًا ونشرا وتدوالًا،وظهر أثر ذلك عند أحمد ولد عبد القادر في إنتاج نصوصه اللاحقة" العيون الشاخصة 2000 " و"الكوابيس " 2002فكلاهما ينطق من ثمّ حضاري نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية،وما صاحبها من تبدل في القيم،وتدن في المستوى المعيشي وضبابية في الرؤية.

ويمكننا أن نلخص أبرز التحولات المؤثرة على مسار تطور الرواية المغاربية فيما يلي:

أ-التحول الاجتماعي والسياسي:تمثل في حصول العديد من الأقطار المغاربية على استقلالها السياسي.

ب- التحول الإيديولوجي:برز هذا التحول في ظهور بنية فكرية وسياسية جديدة هي الفكر الاشتراكي القومي.

ج -المظهر الآخر لتحول رواية التسعينيات هو التطور في لغة الرواية المغاربية.

وفي الأخير لقد ولدت الرواية المغاربية في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية، التي عرفتها المجتمعات المغاربية بعد الحرب العالمية الثانية،والملاحظ هو أن بعض الأحداث السياسية أثرت بشكل عميق في الرواية المغاربية ومن أبرزها الثورات التي شيدتها أقطار المغرب العربي، ويأتي في مقدمتها ثورة التحرير الجزائرية.

بعض المراجع المعتمدة:

- عبد الحميد عقار:الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب،ط1،شركة النشر والتوزيع المدارس،الدار البيضاء،.2000

- فايد محمد:الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية في النشأة والتطور،مجلة المعيار،تيسمسيلت،ع2،ديسمبر 2010.